(اللسان)

(2)

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شَرِيكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه

أعصى الأعضاء على الإنسان

قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (18)﴾

نواصل الحديث الذي سبق لنا أن بدأناه عن أعصى الأعضاء على الإنسان وهو اللسان.

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ دَخَلَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَهُوَ يَجْبِذُ لِسَانَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مَهْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «إِنَّ هَذَا أَوْرَدَنِي الْمَوَارِدَ». **موطأ مالك(12)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ص:33**

– **مَهْ:** كلمة تعني ماذا تفعل؟

دخل عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق (رضي الله عنهما) فإذا بأبي بكر يجذب لسانه أو يشده بقوة فقال له عمر ماذا تفعل أو ماذا حدث؟

فقال أبو بكر: إِنَّ هَذَا أَوْرَدَنِي الْمَوَارِدَ

مَن القائل لهذه المقولة؟ إنه الصديق، لقد رأى أن لسانه قد أورده الموارد يقول هذا وهو صديق الأمة وأفضل البشر بعد الأنبياء وصاحب خير خلق

الله ومن العشرة المبشرون بالجنة، وبالرغم من هذا كله إلا أنه يرى ذلك فما هو حال ألسنتنا نحن؟

كان رجل يجلس إلى أبي يوسف فيطيل الصمت، فقال له أبو يوسف: ألا تتكلم؟ فقال: بلى، متى يفطر الصائم. قال: إذا غابت الشمس، قال: فإن لم تغِبْ إلى نصف الليل؟ قال: فضحك أبو يوسف، وقال: أصبت في صمتك، وأخطأت أنا في استدعاء نطقك.

قَسَّمَ العلماء الكلام إلى أربعة أقسام :

القسم الأول: كلامٌ هو ضررٌ محض

القسم الثاني: كلامٌ هو نفعٌ محض

القسم الثالث: يجمع بين الضرر و المنفعة

القسم الرابع: ما ليس فيه ضرر و لا منفعة

فإذا ما نظرنا إلى القسم الأول والذي هو ضررٌ محض فعلى الإنسان العاقل أن يسكت عنه(لابد من ذلك)، وكذا القسم الثالث والذي يجمع بين النفع والضرر فالأولى تركه لماذا؟ لأن الشخص قد يتكلم كلامًا كثيرًا جدًا وفيه من الخير الكثير ولكن يختم كلامه هذا بكلامٍ أخر يحوي من الشر ما يُغطي به على ما قيل من خيرٍ وزيادة، فعدم ضمان زيادة الشر على الخير الذي يُقال بالنسبة لهذا القسم يجعل تركه أولى من الخوض فيه، وأما القسم الرابع وهو ما لا نفع فيه ولا ضرر (فضول الكلام) والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران، فالانشغال بالكلام حتى لو لم يكن كلامًا حرام باشتماله على فحش القول أو ضرر أو غيبة أو نميمة وإنما هو كلام مباح عن أي شيء بالفعل لن يُحمِّل صاحبه وزرًا أو إثمًا ولكن في ذلك تضييع لأشرف الأوقات وأعظم بضاعة يمتلكها الإنسان، فأعظم الغُبن أن يضيع

من الإنسان ساعات من الزمان ولا يكتسب فيها حسنات، من أعظم الغبن وأقبح النقائص وأخسر الخسران أن يعلم الإنسان قدر الزمان وشرفه ولا يلتفت إليه ليغتنم منه.

جلس شخص في جلسة استمرت ساعتان وهو وغيره يتكلمون بكلام مباح (ليس فيه نفع ولا ضرر)هذا الشخص سيخرُج من هذه الجلسة لا هو آثمٌ ولا محسن ولكنه خاسر لأن هاتين الساعتين لو أنه ذكر فيهما الله بتلاوة القرآن أو الذكر (تسبيح_تحميد_تهليل_وغير ذلك من أنواع التسبيح) أو الاستغفار فكم كان العائد عليه من الخير بعدهما؟ إذن تلك هي الخسارة العظيمة حيث تضييع أشرف الأزمنة وخاصةً في أوقات الخير ومواسمه ومواسم النفحات والبركات (رمضان_العشر من ذي الحجة_الثلث الأخير من الليل) هذه الأوقات الشريفة لا يجوز أن تضيع فيما لا نفع فيه،

وبعد كل هذا يبقى الجزء الرابع من الكلام (ما فيه الخير المحض) فثلاثة أرباع الكلام قد سقط ولم يبقى غير هذا الجزء الرابع وبالرغم من أنه خيرٌ محض إلا أنه ينبغي على المتكلم به أن يحترس لأنه لن يخلو من دقيق الرياء والتصَنُعْ وأحيانًا الغيبة وتزكية النفس أو فضول الكلام ولهذا فإن صاحب هذا القسم يمكن أن يكون على خطر.

لقد كان السلف الصالح يُطيلون الصمت وإذا ما تكلموا فإنهم كانوا يتكلمون بما فيه النفع.

حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ، قَالَ: كَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ، رَحِمَهُ اللَّهُ، يُطِيلُ السُّكُوتَ، فَإِذَا تَكَلَّمَ رُبَّمَا انْبَسَطَ قَالَ: فَأَطَالَ ذَاتَ يَوْمٍ السُّكُوتَ، فَقُلْتُ: لَوْ تَكَلَّمْتَ فَقَالَ: "الْكَلَامُ عَلَى أَرْبَعَةِ وُجُوهٍ:

1- فَمِنَ الْكَلَامِ كَلَامٌ تَرْجُو مَنْفَعَتَهُ وَتَخْشَى عَاقِبَتَهُ، وَالْفَضْلُ فِي هَذَا السَّلَامَةُ مِنْهُ.

فأحيانا يُفكِر الشخص مع نفسه في بعض الكلام قبل أن يتفوه به فهو يرى أن فيه منفعة ولكنه يخشى من أن يكون له عاقبة ولهذا فإن الفضل فيه والسلامة منه هي في السكوت عنه.

مثال: طالب علم مازال في بداية طريق الطلب وجلس مع أشخاص فطلبوا منه أن يحدثهم بما يسمعه في دروس العلم حتى ينتفعوا،

هذا الشخص سيتكلم بما فيه الخير ولكنه يشعُر بالخوف لأنه لم يثبُت قدمه بعد في باب الإخلاص أو خائف من مسألة حب الظهور وبالتالي فإن القلب لم يستقم بعد، ففكر فيما بينه وبين نفسه وقال: ما سأقوله فيه خيرٌ كثير ولكن يمكن أن يدخل على القلب الرياء أو حب الظهور أو العُجب والكِبر نتيجة التميز عن الآخرين(هنا يُفضل الصمت فيه فهو الأولى) لأن فيه السلامة.

2- وَمِنَ الْكَلَامِ كَلَامٌ لَا تَرْجُو مَنْفَعَتَهَ وَلَا تَخْشَى عَاقِبَتَهُ فَأَقَلُّ مَا لَكَ فِي تَرْكِهِ خِفَّةُ الْمُؤْنَةِ عَلَى بَدَنِكَ وَلِسَانِكَ.

3- وَمِنَ الْكَلَامِ كَلَامٌ لَا تَرْجُو مَنْفَعَتَهُ، وَلَا تَأْمَنْ عَاقِبَتَهُ، فَهَذَا قَدْ كَفَى الْعَاقِلَ مُؤْنَتُهُ.

4- وَمِنَ الْكَلَامِ كَلَامٌ تَرْجُو مَنْفَعَتَهُ وَتَأْمَنُ عَاقِبَتَهُ فَهَذَا الَّذِي يَجِبُ عَلَيْكَ نَشْرُهُ " قَالَ خَلَفٌ: فَقُلْتُ لِأَبِي إِسْحَاقَ: أُرَاهُ قَدْ أَسْقَطَ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِ الْكَلَامِ. قَالَ: «نَعَمْ»".

فهناك كلام إذا قيل فلابد أن ينتفع منه السامع له (يقينًا سينتفع) إذن ينبغي على الشخص أن يتكلم به

مثال: لقد تحدثنا اليوم في مسألة خطيرة جدًا وهي قضية اللسان ومعاصيه وآفاته ولهذا يجب على الحاضرين نقل ما سمعوه.

فلماذا يتوجب عليهم ذلك؟ لأنه لا يوجد شخص يمكن أن يسلم من آفات اللسان إلا قِلَّة قليلة لا تُذكر.

وفى شروط الكلام يقول الماورديّ: "وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْكَلَامِ شُرُوطًا لَا يَسْلَمُ الْمُتَكَلِّمُ مِنْ الزَّلَلِ إلَّا بِهَا ، وَلَا يَعْرَى مِنْ النَّقْصِ إلَّا بَعْدَ أَنْ يَسْتَوْفِيَهَا وَهِيَ أَرْبَعَةٌ:

- **فَالشَّرْطُ الْأَوَّلُ:** أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ لِدَاعٍ يَدْعُو إلَيْهِ إمَّا فِي اجْتِلَابِ نَفْعٍ أَوْ دَفْعِ ضَرَرٍ؛ فَلِأَنَّ مَا لَا دَاعِيَ لَهُ هَذَيَانٌ، وَمَا لَا سَبَبَ لَهُ هَجْرٌ وَمَنْ سَامَحَ نَفْسَهُ فِي الْكَلَامِ، إذَا عَنَّ وَلَمْ يُرَاعِ صِحَّةَ دَوَاعِيهِ، وَإِصَابَةَ مَعَانِيهِ،كَانَ قَوْلُهُ مَرْذُولًا، وَرَأْيُهُ مَعْلُولاً.

– **وَالشَّرْطُ الثَّانِي:** أَنْ يَأْتِيَ بِهِ فِي مَوْضِعِهِ، وَيَتَوَخَّى بِهِ إِصَابَةَ فُرْصَتِهِ. لِأَنَّ الْكَلَامَ فِي غَيْرِ حِينِهِ لَا يَقَعُ مَوْقِعَ الِانْتِفَاعِ بِهِ ، وَمَا لَا يَنْفَعُ مِنْ الْكَلَامِ فَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ بِأَنَّهُ هَذَيَانٌ وَهَجْرٌ ، فَإِنْ قَدَّمَ مَا يَقْتَضِي التَّأْخِيرَ كَانَ عَجَلَةً وَخَرَقًا وَإِنْ أَخَّرَ مَا يَقْتَضِي التَّقْدِيمَ كَانَ تَوَانِيًا وَعَجْزًا ؛ لِأَنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ قَوْلًا ، وَفِي كُلِّ زَمَانٍ عَمَلًا.

– **وَالشَّرْطُ الثَّالِثُ:** أَنْ يَقْتَصِرَ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ حَاجَتِهِ. فَإِنَّ الْكَلَامَ إنْ لَمْ يَنْحَصِرْ بِالْحَاجَةِ، وَلَمْ يُقَدَّرْ بِالْكِفَايَةِ، لَمْ يَكُنْ لِحَدِّهِ غَايَةٌ، وَلَا لِقَدْرِهِ نِهَايَةٌ.وَمَا لَمْ يَكُنْ مِنْ الْكَلَامِ مَحْصُورًا كَانَ حَصْرًا إنْ قَصُرَ ، وَهَذْرًا إنْ كَثُرَ.

_فإن لم يستطع الإنسان أن يضبط نفسه ولسانه ويعرف القدر الذي يحتاج إليه من الكلام (فيكتفي بالقدر الذي يحتاج إليه منه ويتوقف عند هذا الحد) فلن يستطيع إيقاف هذا الأمر لأنه لن يقدر على حصره فالكلام لا ينتهي كما أن له لذَّة (الحكايات والقصص والأحداث) فالمتكلم والسامع يشعران بهذه اللذَّة، فإن لم يكن المتكلم مُنتبه ومُدرك أن كلامه هذا لابد أن يكون له حد وغاية وينبغي التوقف عند هذا الحد فإن الأمر سيتفلَّت منه

– **وَالشَّرْطُ الرَّابِعُ:** أَنْ يَتَخَيَّرَ اللَّفْظَ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ. فَلِأَنَّ اللِّسَانَ عُنْوَانُ الْإِنْسَانِ يُتَرْجِمُ عَنْ مَجْهُولِهِ ، وَيُبَرْهِنُ عَنْ مَحْصُولِهِ ، فَيَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ بِتَهْذِيبِ أَلْفَاظِهِ حَرِيًّا وَبِتَقْوِيمِ لِسَانِهِ مَلِيًّا.

أما الشرط الرابع فهو أن يتكلم الإنسان وهو يعي أن اللسان عنوان لصاحبه، فالشخص إذا ظلَّ صامتًا في جِلسة ما فلن يستطيع أحد أن يُقيِّمه

فإذا ما تكلم وسمع له الآخر فإنه يبدأ في تقييمه (عالم_داعي_سفيه_ناقص العقل_غير حكيم_أيًا كان مدلول كلامه فإنه يدل عليه) إذن اللسان هو عنوان الإنسان الذي يُترجم عن المجهول الذي لا يعرفه الناس.

فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ شُرُوطٍ مَتَى أَخَلَّ الْمُتَكَلِّمُ بِشَرْطٍ مِنْهَا فَقَدْ أَوْهَنَ فَضِيلَةَ بَاقِيهَا

قال بعض الحكماء : مَن كثر كلامه كثرت آثامه

فمَن يتكلم كثيرًا يُخطئ كثيرًا

قال بعض البلغاء : كلام المرء بيان فضله، وترجمان عقله، فاقصره على الجميل واقتصر منه على القليل، وإياك ما يسخط سلطانك، ويوحش إخوانك، فمن أسخط سلطانه تعرض للمنية ومن أوحش إخوانه تبرأ من الحرية.

أراد أحد البلغاء أن يُبيِّن حال المرء في الكلام وأن كلامه يُظهر فضله، هل هو يتكلم بعلم ؟ أسلوبه رصين؟ بحكمة وتَعَقُلْ ؟ أم أنه يتكلم بسفاهة وقِلة عقل؟

– **فاقصره على الجميل:** أي عندما تتكلم فاجعل كلامك يقتصر على الجميل من الكلام والذي لا يُقلل من شأنك أو يحُط من قدرك.

– **واقتصر منه على القليل:** فليس الكلام بكثرته ولكن بمضمونه ومعناه فقد يتكلم الشخص بكلمات قليلة بسيطة ولكن بها من النفع الكثير.

– **وإياك وما يُسخط سلطانك:** فقد يكون لدى المرء هيبة ومكانة بين الناس وبالتالي فعليه أن يُحافظ على هذه المكانة بترفعه عن الخوض فيما يخوض فيه الآخرين من كلام.

– **ويُوحش إخوانك:** فأحيانًا يتكلم الشخص بكلام فإذا بالحضور لا يرغبون في سماعه فيشغلون أنفسهم بأمور أخرى حتى ينتهي من حديثه هذا نظرًا لتفاهة الكلام وسخافته وانعدام المعاني فيه.

قال بعض الأدباء:

ويا رب ألسنة كالسيوف ... تقطع أعناق أصحابها

فاللسان كالسيف فهو يغتاب ويكذب وينم وينتقص من قدر هذا ويذم هذا، وهمز ولمز، فهو كالسيف ولكنه يقطع عنق صاحبه.

قال بعض الأدباء: يُستدل على عقل الرجل بقوله وعلى أصله بفعله.

فالرجل العاقل الرصين الذكي الحكيم عندما يتكلم يُحب الحاضر أن يستمع لكلامه نظرًا لرجاحة عقله وحكمته وسلامة منطقه واتزان كلماته، والعكس فقد يجلس شخص ليتكلم بين الناس فإذا بهم يتعجبون من مدى سفاهته وتفاهته وعدم اتزان كلامه وأفعاله، هذا الشخص وسابقه لم يُظهر حالهما سوى ألسنتهما، فإذا ما ظل صامتًا محبوسًا ففي الغالب لن يُذم صاحبه لعدم معرفة صاحب هذا اللسان، وبمجرد كلامه فإنه يتعرض إما للذم وإما للثناء والمدح.

_ومن آداب الكلام: قال– رحمه الله–: للكلام آدابا إن أغفلها المتكلّم أذهب رونق كلامه وطمس بهجة بيانه، ولها النّاس عن محاسن فضله، بمساوئ أدبه، فعدلوا عن مناقبه، بذكر مثالبه .

⇚ومن آداب الكلام :

1 –أَنْ لَا يَتَجَاوَزَ فِي مَدْحٍ وَلَا يُسْرِفَ فِي ذَمٍّ وَإِنْ كَانَتْ النَّزَاهَةُ عَنْ الذَّمِّ كَرَمًا وَالتَّجَاوُزُ فِي الْمَدْحِ مَلَقًا يَصْدُرُ عَنْ مَهَانَةٍ .وَالسَّرَفُ فِي الذَّمِّ انْتِقَامٌ يَصْدُرُ عَنْ شَرٍّ ، وَكِلَاهُمَا شَيْنٌ وَإِنْ سَلِمَ مِنْ الْكَذِبِ .عَلَى أَنَّ السَّلَامَةَ مِنْ الْكَذِبِ فِي الْمَدْحِ وَالذَّمِّ مُتَعَذِّرَةٌ لَا سِيَّمَا إذَا مَدَحَ تَقَرُّبًا وَذَمَّ تَحَنُّقًا.

أن لا يتجاوز كثيرًا في المدح فهذا يُعد نفاقًا ومهانة، كما أنه لا يُسرف في الذم، والحديث يُقصد به التجاوز الذي يصل إلى درجة المُبالغة والأمر الزائد والذي يُثير الاشمئزاز سواء في المدح بإطراء وثناء زائدين(نفاقًا)أو الذم الزائد.

2- أَنْ لَا تَبْعَثَهُ الرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ عَلَى الِاسْتِرْسَالِ فِي وَعْدٍ أَوْ وَعِيدٍ يَعْجِزُ عَنْهُمَا وَلَا يَقْدِرُ عَلَى الْوَفَاءِ بِهِمَا .فَإِنَّ مَنْ أَطْلَقَ بِهِمَا لِسَانَهُ وَأَرْسَلَ فِيهِمَا عِنَانَهُ ، وَلَمْ يَسْتَثْقِلْ مِنْ الْقَوْلِ مَا يَسْتَثْقِلُهُ مِنْ الْعَمَلِ ، صَارَ وَعْدُهُ نَكْثًا وَوَعِيدُهُ عَجْزًا.

فإذا كان الشخص يخاف من شيءٍ ما أو أنه سعيدًا بشيء فلا يجب أن يُبادر إلى الحديث عنه مباشرةً لماذا؟ لأنه قد يكون خائفًا خوفًا زائدًا من أمرٍ ما فيسترسل في الكلام ويقطع على نفسه وعود وعهود فإذا ما ذهب عنه هذا الخوف إذا به يحنث أو يضعف عن أداء هذه العهود.

إذن فإن الخوف الشديد قد يدفع الإنسان إلى التعهُد بوعود لن يستطيع أن يفي بها وخاصة مع الله (النذر) فالبعض يتعجل جدًا في مسألة النذر وينذرون أشياء هم لا يستطيعون الوفاء بها فيما بعد.

وكذا الوعيد الشديد فقد يغضب شخص من آخر وبشدة (من ذوي رحمه مثلًا) فإذا به يُحرِّم على نفسه دخول بيته أو الاتصال به(وهذا يمكن حله ببذل كفارة يمين).

أما المُصيبة والطامة الكبرى الموجودة في الكثير من بيوت المسلمين فهي (يمين الطلاق) الذي يُطلقه الرجال ليل نهار وبدون داعٍ،

فإذا ما غَضِبَ الرجل من امرأته إذا به يُلقي عليها يمين الطلاق مرة بعد مرة حتى إذا أطلق الثالثة ذهب هنا وهناك ليستغيث ثم يُبرر ذلك بأنه كان غاضبًا فلم يُسيطر على نفسه من الغضب (فيكذب _ويُراوغ_ ويأخذ رُخص باطلة) وهذا يؤدي إلى أنهما يعيشان سويا في زنا وأبنائهم حينئذ يكونون أبناء زنا.

ولهذا فإن من آداب الكلام السيطرة وضبط النفس عند الفرح الشديد وكذا الخوف الشديد حتى لا يندفع المرء إلى التفوه بوعدٍ أو وعيد لا يقدر بعد ذلك على إنجازه، ولأن الإنسان إذا لم يضبط لسانه في هذا الموضع فقد أطلق له العنان ولن يصعُب عليه الأمر فيما بعد، فالجوارح تُدرَّب مثلها مثل أي شيء ومنها اللسان، فعلينا أن نُحاول فعل ذلك وقد ننجح في أول الأمر بنسبة ضئيلة ثم تتزايد إلى أن نصل إلى تحقيق الغاية المنشودة من ضبط النفس واللسان، فمع الاجتهاد وبذل ما في الوسع وعلم الله بحال عبده وأنه لا يريد أن تذهب حسناته إلى غيره ومُجاهدته لنفسه من أجل تحصيل

الحسنات بفعل الطاعات والبُعد عن الذنوب والمعاصي سيأتي التيسير من عند الله عز وجل

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (69)﴾[العنكبوت].

3- إِنْ قَالَ قَوْلًا حَقَّقَهُ بِفِعْلِهِ ، وَإِذَا تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ صَدَّقَهُ بعَمِلَهُ ، فَإِنَّ إِرْسَالَ الْقَوْلِ اخْتِيَارٌ ، وَالْعَمَلَ بِهِ اضْطِرَارٌ .وَلَئِنْ يَفْعَلَ مَا لَمْ يَقُلْ أَجْمَلُ مِنْ أَنْ يَقُولَ مَا لَمْ يَفْعَلْ.

فأكثر شيءٍ يجعل مَن يسمع إليك يثق بك هو أنك إذا تحدثت بشيء كنت أول العاملين به، فلا تنصح الناس بشيء ولا تُلزِم نفسك به فلا تفعله حتى لا تقع تحت وعيد المنافق وتدخل في كبيرة

قال سبحانه: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (3)﴾[الصف]**

- وإذا تكلّم بكلام صدّقه بعمله: فيرى الناس أعماله تُصديقًا على كلامه.

فإنّ إرسال القول اختيار، والعمل به اضطرار: فالإنسان يتكلم باختياره فله الحرية في أن يتكلم أو لا يتكلم، أما إذا تكلم وبدأ بنصح الناس وإرشادهم بافعلوا ولا تفعلوا كان لزامًا عليه أن يعمل وإلا دخل في كبيرة بالإضافة إلى سقوطه من عين غيره لأن قوله لا يطابق فعله.

4- أَنْ يُرَاعِيَ مَخَارِجَ كَلَامِهِ بِحَسَبِ مَقَاصِدِهِ وَأَغْرَاضِهِ فَإِنْ كَانَ تَرْغِيبًا قَرَنَهُ بِاللِّينِ وَاللُّطْفِ ، وَإِنْ كَانَ تَرْهِيبًا خَلَطَهُ بِالْخُشُونَةِ وَالْعُنْفِ ، فَإِنَّ لِينَ اللَّفْظِ فِي التَّرْهِيبِ وَخُشُونَتُهُ فِي التَّرْغِيبِ خُرُوجٌ عَنْ مَوْضِعِهِمَا وَتَعْطِيلٌ لِلْمَقْصُودِ بِهِمَا ، فَيَصِيرُ الْكَلَامُ لَغْوًا وَالْغَرَضُ الْمَقْصُودُ لَهْوًا.

ينبغي على المتكلم أن يُحدد أمورًا معينة قبل أن يتكلم وهذه الأمور هي:

1- إلى مَن يتحدث ؟

2- ما الذي يجب أن يُقال؟

3- وهل الوقت مناسب لما سيُقال أم لا ؟ فلكل مقامٍ مقالٍ يُناسبه.

مثال: جلس عالم من العلماء ليُحدث الناس عن مسألة فيها ترغيب (شرح لاسم من أسماء الله الحسنى_وصف الجنة) فهل يمكن أن يتكلم الشيخ أو العالم في موضوعٍ كهذا وهو منفعل ووجهه مُتجهِم وصوته عاليًا، إذا فعل ذلك فإنه يكون قد خرج عن المقصود لأنه كان يُرغِّب الحاضرين في الجنة أو يُحببهم في اسم من أسماء الله وهذا يحتاج إلى لُطفٍ في القول وهدوء نفس ووجه بشوش يليق بالموضوع الذي يجري الحديث فيه.

والعكس صحيح، فإن كانت هناك مسألة تحتاج إلى حزم فلا يصح أن يتحدث عنها في لين ولطف لأنه لن يأتي بفائدة الكلام إذا حدث ذلك.

قال أبو الاسود الدؤلي لابنه: يا بني إن كنت في قوم فلا تتكلم بكلام من هو فوقك فيمقتوك، ولا بكلام من هو دونك فيزدروك.

ينصح أبو الأسود ابنه بقوله: إذا كنت جالسًا مع أناس فلا تُحاول أن تعلو عليهم لأنهم سيمقتونك، وكذا لا تتواضع أكثر من اللازم فيستقلون منزلتك أو علمك ومكانتك،

قد يأتي العالم ليجلس بين العوام تواضعًا منه فينزل بالمستوى بطريقة زائدة عن اللزوم فإذا بهم يحتقروه ويتجرؤون عليه بالقول والفعل،

إذن فإن هذا مما لا يليق فعله لأن العالم لابد أن تكون له هيبته ومكانته التي يجب عليه أن يُحافظ عليها ولا يدع مجالًا لأحد أن يتجرأ عليه، ولهذا ينبغي على العالم إذا ما جلس مع مَن هم دونه أن ينتبه فلا يتعالى فيقع في غرور ولا يتواضع بصورة زائدة فيقع في ازدراء فكلاهما شين وعيب وخطأ فلابد من التوازن في الأمر

5- أَنْ لَا يَرْفَعَ بِكَلَامِهِ صَوْتًا مُسْتَنْكَرًا وَلَا يَنْزَعِجَ لَهُ انْزِعَاجًا مُسْتَهْجَنًا ، وَلْيَكُفَّ عَنْ حَرَكَةٍ تَكُونُ طَيْشًا وَعَنْ حَرَكَةٍ تَكُونُ عِيًّا ، فَإِنَّ نَقْصَ الطَّيْشِ أَكْثَرُ مِنْ فَضْلِ الْبَلَاغَةِ.

ومن الآداب أيضًا: إذا تكلم الشخص فلا يجب أن يتكلم بصوتٍ عالٍ حتى لا ينزعج منه الآخرين.

مثال: لو أن هناك حديثٌ يدور بين اثنين أو ثلاثة في غُرفة فإذا بأحدهم يتكلم بصوتٍ عالٍ فيُعلِّق الآخرين على ذلك فيقولون : لماذا ترفع صوتك هكذا والمقام لا يستدعي هذا كما أن مَن يُقْدم على هذه الجلسة يتخيل أن هناك عراك حادث بين المُتحدثين،

كما أن حركاته هي الأخرى لابد أن تخلو من الطيش والنقص بل تتسم بالرزانة والثبات والهدوء.

6- أَنْ يَتَجَافَى هَجَرَ الْقَوْلِ وَمُسْتَقْبَحَ الْكَلَامِ ، وَلْيَعْدِلْ إلَى الْكِنَايَةِ عَمَّا يُسْتَقْبَحُ صَرِيحُهُ وَيُسْتَهْجَنُ فَصِيحُهُ ؛ لِيَبْلُغَ الْغَرَضَ وَلِسَانُهُ نَزِهٌ وَأَدَبُهُ مَصُونٌ وَكَمَا أَنَّهُ يَصُونُ لِسَانَهُ عَنْ ذَلِكَ فَهَكَذَا يَصُونُ عَنْهُ سَمْعَهُ ، فَلَا يَسْمَعُ خَنَاءً وَلَا يُصْغِي إلَى فُحْشٍ فَإِنَّ سَمَاعَ الْفُحْشِ دَاعٍ إلَى إظْهَارِهِ ، وَذَرِيعَةٌ إلَى إنْكَارِهِ .وَإِذَا وَجَدَ عَنْ الْفُحْشِ مَعْرِضًا كَفَّ قَائِلُهُ وَكَانَ إعْرَاضُهُ أَحَدَ النَّكِيرَيْنِ، كَمَا أَنَّ سَمَاعَهُ أَحَدُ الْبَاعِثَيْنِ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللِّعَانِ، وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ» **الأدب المفرد(312)[قال الشيخ الألباني]: صحيح**

فالمؤمن طيب لا يتكلم إلا بطيب.

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُنَاسٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَالَ: «وَعَلَيْكُمْ» قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَالذَّامُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عَائِشَةُ «لَا تَكُونِي فَاحِشَةً» فَقَالَتْ: مَا سَمِعْتَ مَا قَالُوا؟ فَقَالَ: " أَوَلَيْسَ قَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِمِ الَّذِي قَالُوا، قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ" **أخرجه مسلم(2165).**

فالمؤمن لا ينبغي أن يكون سبَّاب ولا فاحش ولا مُتفحّش وحتى لو تعدى عليه شخصٌ آخر بالسب أو الشتم فلا يصح أن يرُد عليه وينزل إلى مستوى مُتدنٍ و بذيء ومُنحط من الخلق لا يليق بخلُق المؤمن.

7- وَمِنْ آدَابِهِ أَنْ يَجْتَنِبَ أَمْثَالَ الْعَامَّةِ الْغَوْغَاءِ وَيَتَخَصَّصَ بِأَمْثَالِ الْعُلَمَاءِ الْأُدَبَاءِ فَإِنَّ لِكُلِّ صِنْفٍ مِنْ النَّاسِ أَمْثَالًا تُشَاكِلُهُمْ ، فَلَا تَجِدُ لِسَاقِطٍ إلَّا مَثَلًا سَاقِطًا وَتَشْبِيهًا مُسْتَقْبَحًا وَلِذَلِكَ عِلَّتَانِ، إحْدَاهُمَا: أَنَّ الْأَمْثَالَ مِنْ هَوَاجِسِ الْهِمَمِ وَخَطِرَاتِ النُّفُوسِ، وَلَمْ يَكُنْ لِذِي الْهِمَّةِ السَّاقِطَةِ إلَّا مَثَلٌ مَرْذُولٌ ، وَتَشْبِيهٌ مَعْلُولٌ، وَالثَّانِيَةُ : أَنَّ الْأَمْثَالَ مُسْتَخْرَجَةٌ مِنْ أَحْوَالِ الْمُتَمَثِّلِينَ بِهَا، فَبِحَسَبِ مَا هُمْ عَلَيْهِ تَكُونُ أَمْثَالُهُمْ، فَلِهَاتَيْنِ الْعِلَّتَيْنِ وَقَعَ الْفَرْقُ بَيْنَ أَمْثَالِ الْخَاصَّةِ وَأَمْثَالِ الْعَامَّةِ.

مثال ذلك: الرجل إذا كانت أخلاقه رذيلة ويَتَسِم بالحُمق والسفاهة نجد أنه إذا أراد أن يضرب الأمثال فإن أمثاله تكون ساقطة واقعة.

وعلى طالب العلم الذي يحضر حلقات العلم أن لا يستخدم الألفاظ الساقطة ولا أمثال الغوغاء في حديثه ولكن عليه أن يلجأ إلى استخدام أمثال الأدباء والحكماء والبُلغاء والعلماء فيكون كلامه جميلًا مُنمقًا تفوح منه رائحة العلم وكذا يكون فيه سمت طالب العلم.

آفات اللسان

1-الغيبة:

من أعظم وأخطر آفات اللسان على الإطلاق(الغيبة) وهي من الكبائر.

وقد أجمعت الأمة من العلماء (ابن كثير_القرطبي_وغيرهم من العلماء) على أن الغيبة من الكبائر

أدلة تحريم الغيبة من الكتاب:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (12)﴾ [الحجرات]

التشبيه الذي ورد ذِكره في الآية مُرعب، فمَن منَّا يرضى أن يموت أخيه الشقيق أو حتى أخيه في الإسلام ثم يجلس أمام جثته ليقطع منها ويأكل!، أرأيتم كيف ساق الله عز وجل هذا التشبيه لتنفُر النفوس وتنزعج وتفزع وتخاف من هذا المنظر المُقزز.

فهذه آفة عظيمة جدًا ألا وهي الغيبة تقطيع لحوم المسلمين وأكلها

قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (1)﴾[الهمزة]

- **ويلٌ:** هو وادي في جهنم يستغيث منه جميع سكان جهنم والمُعذبين فيها.

- **وقيل ويلٌ:** هو العذاب الشديد، وعلى كلا القولين فإن الواقع فيها على خطر عظيم.

على مَن أراد أن يسلم من هذا الذنب العظيم أن يغُض بصره عن عيوب الآخرين وأن ينشغل بحال نفسه، والمُلاحظ أن الغيبة دائمًا ما تكون إما عن حقد(وهو السبب الأقوى) وحسد وإما عن عُجْب وكلها صفات مذمومة،

فالحسد والحقد صفة اليهود، والعُجب والكِبر من صفات فرعون، فمَن يرد أن يحمل صفة من تلك الصفات،

والسؤال لماذا يحقد شخصٌ على آخر؟ ألا يعلم أن ذلك فضل الله ويؤتيه مَن يشاء، ولكنه يرى أن هناك مَن هو أفضل منه ولهذا فهو لا يتقبل ذلك وبالتالي فإنه يبدأ في البحث عن الناقص فيه ليُسَلِّط الضوء عليه ويُبرزه لينتقص من قدر هذا الآخر، وهل منَّا أحد يخلو من العيوب ؟ لسنا ملائكة ولا أنبياء حتى يتحقق لنا ذلك ولهذا فالكل لديه عيوب وذنوب ولا إشكال في هذا فهم بشر، أما الإشكال فهو يكمن في البحث عن عيوب الآخرين والتفتيش عن أخطائهم حتى ينتقص من قدرهم(مَن يكون هذا حاله فإن لديه قلب مريض بالحقد والحسد) إلى جانب آفة الغيبة وهي كبيرة من الكبائر وهذا يحتاج إلى علاج.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ، قَالَ [ص:270]: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ " **مسند أحمد(13340)، سنن أبي داود(4878)**

حين سأل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جبريل عن هؤلاء القوم الذي هذا هو حالهم أخبره أنهم كانوا يأكلون لحوم الناس (الغيبة) ويقعون في أعراضهم (ينالون من أعراضهم).

عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَرْبَى الرِّبَا الِاسْتِطَالَةَ فِي عِرْضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ» **سنن أبي داود(4876)**

[حكم الألباني]: صحيح.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ الرِّبَا وَعَظَّمَ شَأْنَهُ فَقَالَ: " إِنَّ الرَّجُلَ يُصِيبُ مِنَ الرِّبَا أَعْظَمَ عِنْدَ اللهِ فِي الْخَطِيئَةِ مِنْ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ زَنْيَةً يَزْنِيهَا الرَّجُلُ، وَإِنَّ أَرْبَى الرِّبَا عِرْضُ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ "

شعب الإيمان(5135).

لقد ارتكب المغتاب ذنبً عظيمًا وهو نوع من أنواع الربا بل هو أعظم أنواع الربا كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

_ونحن نعلم أن الربا كبيرة من الكبائر أيضًا وهو الأمر الوحيد الذي توعد الله عز وجل مرتكبه بالحرب عليه.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (278) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (279)﴾ [البقرة].

وبالرغم من ذلك فإن الغيبة أعظم من الربا فهو أعظم أنواع الربا(عرض الرجل المسلم) ويوم القيامة ستكون الحسرة عظيمة جدًا لأن العبد قد يأتي يوم القيامة وهو مطمئن أن معه من الحسنات الكثير(صلاة_صيام_ حج _عمرة_صدقات_ملتحي_مقصر) وبالفعل إن الله عز وجل لا يظلم أحدًا فكل شيء مكتوب(الحسنات_السيئات).

مثال: لو أن شخصًا له من الأموال الكثير فوضعها في أحد البنوك واعتمد على ذلك وبدأ يُنفق هنا وهناك ولم ينبته إلى أن أمواله بإنفاقه هذا تتناقص ثم إذا به فجأة يجد أن البنك يُرسل إليه لينذره بأنه أصبح مدينًا للبنك بأموال طائلة فقد أنفق أمواله واستدان بما هو أكثر منها.

وهذا مثل حال المسلم الذي لديه من الحسنات الكثير إلا أنه على الجانب الآخر لا يتوقف عن أن يغتاب هذا وذاك ويرتكب الشرور والآثام ويوم القيامة يجد أن حسناته قد ذهبت إلى مَن اغتابهم ونال من أعراضهم وأكل لحومهم وربما تنتهي حسناته قبل أن يفي بما عليه من حقوق فإذا حدث هذا أُخِذَ من سيئات مَن نال منهم فطُرِحت عليه ثم طُرِح في النار

_ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» **أخرجه مسلم(2581).**

2- النميمة.

قال تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (11)﴾[القلم]

– عَنْ حُذَيْفَةَ، أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَجُلًا يَنِمُّ الْحَدِيثَ فَقَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ» **أخرجه مسلم(105).**

والمقصود بلا يدخل : هو عدم الدخول ابتداءً.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ، أَوْ مَكَّةَ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ» ثُمَّ قَالَ: «بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ». ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ، فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ، فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَيْبَسَا» أَوْ: «إِلَى أَنْ يَيْبَسَا» **أخرجه البخاري(216)، أخرجه مسلم(292).**

لقد كان من خصائص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يسمع عذاب القبر، فعندما مر بقبران سمع عذاب صاحبيهما وهما مسلمين وليسا كافرين

_فالأول كان لا يستتر من بوله (قد يفعل هذا على قارعة الطريق) وفي رواية يستنزه من بوله أي لا يتطهر من بوله

_أما الآخر فقد كان يسير بين الناس بالنميمة فيوقع بين اثنين ويُوغر الصدور على بعضها البعض وهذا الأمر هو أشد في الجُرم عند الله سبحانه.

3- الكذب.

فالكثير من الناس الآن لا يتقون الله ويقعون في الكذب وقد أصبح هذا الفعل هو أسهل ذنب يمكن الوقوع فيه، والبعض قد يكذب نتيجة سلوك آخر سيء وللأسف هو الآخر منتشر بين المسلمين ألا وهو التطفُل والفضول(هذا سوء خلق وانحطاط وشيء مُقزز) فصاحبه يفتح تحقيقًا لمَن يتحدث معه مما يدفعه إلى الكذب إن لم يكن إيمانه قوي

_ومن آفات اللسان أيضًا (إفشاء السر _السخرية والاستهزاء_وغيرها الكثير)

علينا بحفظ اللسان والعلم بأنه أعصى الأعضاء على الإنسان وأن حفظه يحتاج إلى جهد وبصيرة وخوف من الله سبحانه حتى ننجو من عذاب الملك

أسأل الله أن يجعلنا من عباده الصالحين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك